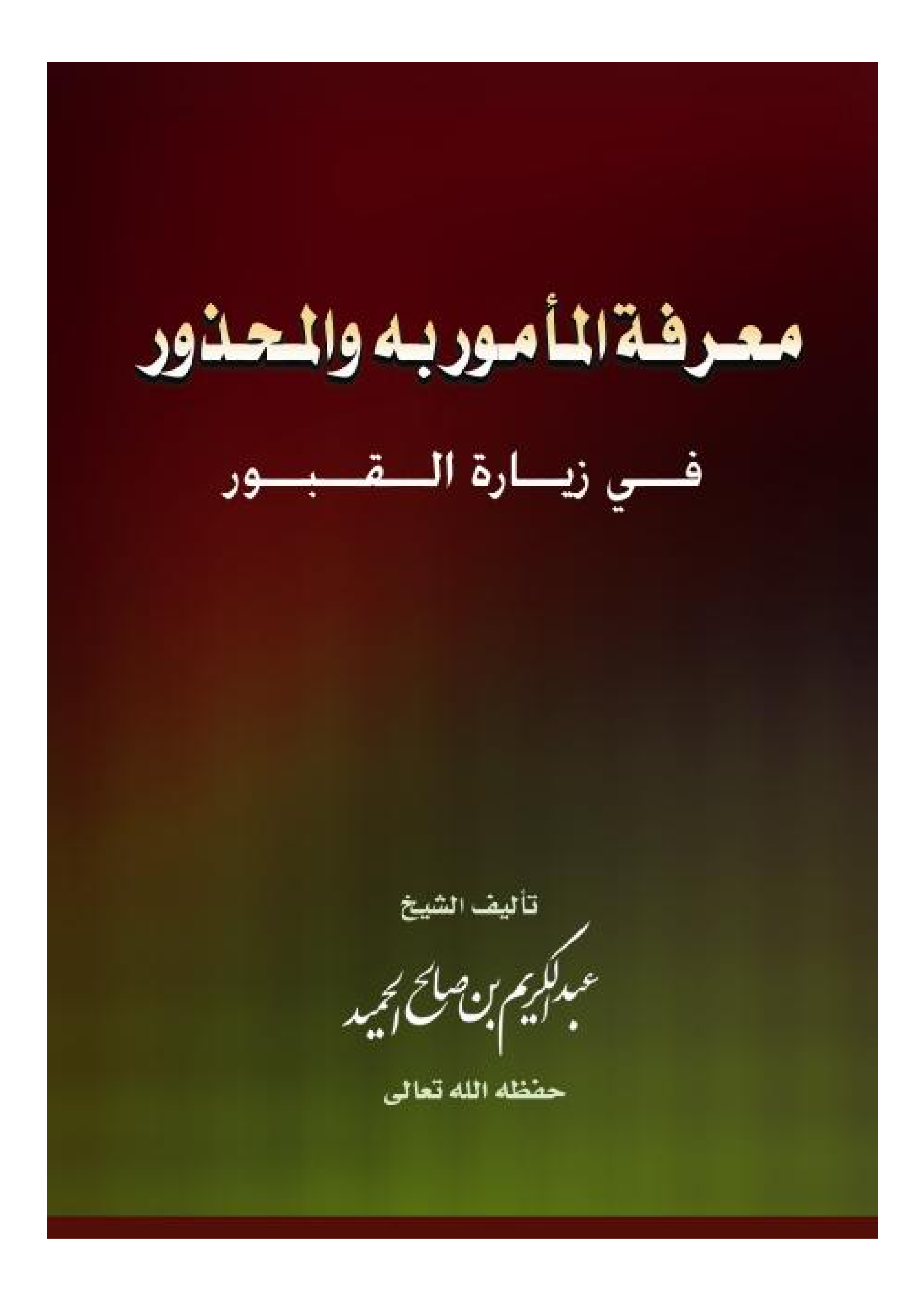

معرفة المأمور به والمحذور
في زيـــارة الـــقـــبـــور
تأليف الشيخ
عبد الكريم بن صالح الحميد
حفظه الله تعالى

ح عبد الكريم بن صالح الحميد ، ١٤٢٧هـ

فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحميد ، عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم
معرفة المأمور به والمحذور في زيارة القبور / عبد الكريم بن صالح الحميد – بريدة ، ١٤٢٧هـ
٦٣ ص ؛ ١٢× ١٧ سم
ردمك : ٥-٣٢-٠٥٦-٩٩٦٠-٩٩٦٠
١ - زيارة القبور ٢ – الشِّرك بالله ٣ - البِدَع في الإسلام
أ . العنوان
ديوي ٢٥٩,٤٤ ١٤٢٧ / ٣٦٩٨

رقم الإيداع : ١٤٢٧ / ٣٦٩٨
ردمك : ٥-٣٢-٠٥٦-٩٩٦٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ

للاطلاع على المزيد من كُتب الشيخ أنظر صفحته على موقع (صيد الفوائد) على شبكة الإنترنت :
http://saaid.net/Doat/alhomaid/index.htm

بسم الله الرحمن الرحيم

معرفة المأمور به والمحذور
في زيـارة الـقـبـور

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإنَّ زيارة القبور تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، وهي :

١- **الزيارة السُنّيـــة ..** ينتفع بِهَـــا الزائر والْمَزُور ، وتشمل السَّلام على الميت ، والدعاء له بالرحمة والمغفـــرة ، وأنْ يدخله الله الجنة ، ويعيذه من النار ؛ ولا يزيد على ذلك شيئاً ، فلا يتعلّق قلبه

بالميت ولا ينشغل به بأكثر من هذا ، وصفة السلام على أهل القبور : (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون [١] ، أسأل الله لنا ولكم العافية [٢]) .

٢- **الزيارة البدعية ..** وهي الاعتقاد بأن الدعاء عند قبر مُعَيّن مستجاب .

٣- **الزيارة الشركية ..** وذلك أن تُزار القبور لاعتقاد أن أهلها يَتَوَسَّطون ويشفعون وينفعون عند الله بأنْ يرفعوا حوائج الخلق إلى الله ليقضيها .

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم (٩٧٤) عن عائشة – رضي الله عنها – عن رسول الله ﷺ .

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم (٩٧٥) عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن رسول الله ﷺ .

وسَوَاءٌ دعاهم على مقتضى هذا الاعتقاد فقط أوْ زَاد على ذلك الذَّبْح لهم والنذر لهم والتقرّب إليهم بالعبادات التي لا تصلح إلا لله ، فهذا هو الشرك الأكبر الذي مَن مات عليه فهو مُخلَّد في جهنم ، لأنه قصد غير الله في تَوَجُّه قلبه وطلبه وإرادته لينفعه عند الله بالتوسُّط ، وصَرَفَ خالص حقِّ الله لِمخلوق هو مملوك لله ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن غيره ، لا في حياته ولا بعد موته .

وهذا الشِّرْك أعظم من القتل والزنا وشُرب الخمر لأنه تَنَقُّص لرب العالمين سبحانه وشَكٌّ في علمه وقدرته ورحمته ، وكأنه لا يرحم عبده إلا بواسطة بل هو - سبحانه - أرحم الراحمين ، وقد فَرَض التوحيد على عباده قبل الصلاة والصوم والزكاة والحج .

وكأنّه - جَلَّ وعَلاَ - لا يَرى عبدَه ولا يسمعه وأنه تخفى عليه أمور عباده فيحتاج إلى مَنْ يعلمه ، بل هو سبحانه

السميع البصير العليم ، ولا يخفى عليه مثقال ذَرَّة في السموات ولا في الأرض .

وهو سبحانه فَرَضَ التوحيد على عباده رحمة بهم لِيَتَوَجّهوا بقلوبهم بالدعاء والتضرّع والسؤال إليه وحده مباشرة دون وسائط ، وعلى ذلك فطَرهم .

وليس هو سبحانه كملوك الدنيا الذين تُتَّخَذ لَدَيْهم الوسائط من المقربين والوُجَهَاء لأنهم لا يعلمون حوائج الناس ولا يَقدرون على كل شيء ويحتاجون إلى مَن يسْترحمهم ويسْتعطفهم .

ومِنْ هنا جاء الشِّرك حيث شُبِّه الربُّ سبحانه بخلقه ، ولذلك فالمشرك يتقرّب إلى الله بالشرك مع أنه أعظم ما يُبعده من رحمته ، حيث تعلّق قلبه بالواسطة وإنْ كان يصلي ويصوم ويحج فعمله حابط حتى يُوَحِّد عبادته لربه .

فكما لا يُصلي لغير الله .. كذلك لا يدعو غير الله ولاَ يَذبح لغيره ولا ينذر لغيره ، ولا يعتقد حصول نَفْع أو دفع ضرٍّ بواسطة غيره لا الأنبياء ولا الملائكة فضلاً عن غيرهم .

وتأمل الآن قوله - تعالى - : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [(١)] ، فهو سبحانه قال : ﴿ **ادْعُونِي** ﴾ ولَم يَقُل : أدعو الولي أو النبي أو غيرهم ليتوسطوا لكم ويرفعون حوائجكم إِلَيَّ .

والمشرك يغترّ بأنه يصوم ويُصلي ويحج ، فيقال له : قبل الصلاة والصوم والحج والزكاة فَرَض الله عليك العمل بكلمة " لا إله إلا الله ، محمد رسول الله " ؛ ولوْ عَرَف معنى " لا إله إلا الله " ما التَفَتَ قلبه لغير الله كائناً مَن كان ، وذلك بالعبودية من الخوف والرجاء والدعاء وغير ذلك من العبادات مثل الذبح والنذر .

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٠ .

فـــ " لا إله " نفيُ كلّ ما يتوجّه القلب إليه بالعبادة سواء الأحياء أو الأموات ، و " إلا الله " إثبات العبادة كلها لله .

وهذا الشرك هو ما يُفعل عند القبور في بعض الدُّول العربية مثل العراق والشام ومصر وغيرها حيث يأتي أحدهم إلى القبر بخشوع وذل ورجاء وخوف ، فإمَّا أنْ يدعوه ، أو يذبح له ، أو يضع في الصندوق المخصص للنذور نذره كما يُفعل عنـــد ما يُسمى بقبـــر السيد " البدوي " في مصـــر ، و " الدسوقي " ، و " زينب " ، وغير ذلك .

إنَّ مَن يفعـــل ذلك عند قبر النبـــي محمـــد ﷺ يكون مُشركاً ، والنبي ﷺ يُعاديه أشد العداوة يوم القيامة ويتبرأ منه ، لأنَّ النبي ﷺ بشَر مَخلوق وليس له من العبادة مثقال ذرّة ، فكيف بغيره .

وهو ﷺ أمر أُمّته بما أمره به ربه عز وجل أن تكون

عبوديتهم خالصة لربهم لا يشركون معه أحداً لا نبياً ولا مَلَكاً فضلاً عمن سواهما ، قال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً** ﴾ [(١)] .. يعني أخلصوا له العبادة بتوحيده بأعمالكم التعبّدية دون ما تجعلونه وسائط بينكم وبينه تُشركونه بعبادته التي هي حقُّه الخالص عليكم .

والذي يُفعل عند القبور المذكورة هو الذي تفعله قريش عند أصنامها إذْ إنهم يريدون القرب من الله بالوسائط ، ولذلك يقولون : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾ [(٢)] .. يعني يتوسطون لنا كالْوُجَهاء عند الملوك ؛ فكَفَّرهم الله ورسوله بذلك ، فهم يعبدون الله لكن يعبدون معه غيره بهذا الاعتقاد ، وهو الوساطة ، وإلاَّ فهم مُقِرُّون أنَّ الله خالقهم ورازقهم .

---

(١) سورة النساء ، من الآية : ٣٦ .

(٢) سورة الزمر ، من الآية : ٣ .

يقول المشرك : " أنا أعبد الله ، لكن هؤلاء صالحين وأنا أتبَرَّك بهم ، لأنهم وُجهاء عند الله " ، فيصرف لهم تَوَجّه قلبه خوفاً ورجاءاً وتوكلاً ومحبة ؛ وهذه هي العبودية التي لا يرضى الله أن يُشْرك معــه مخلوق فيها لا محمد ولا جبريل - عليهما الصلاة والسلام - فضلاً عن غيرهما حيث إن هذا هو الشرك .

ويقال لهذا المشرك : لَمْ يلتفت قلبك لمخلوق من أجل هذا الغرض إلاَّ لاعتقادك حصول نفعه وضُره ، وهذا الاعتقاد لا يكون إلا لله وحْده دون شريك يعينه على قضاء حوائجك .

والــعَجَب كلّ العَجَب أنَّ الْمُشــرك يعتبر التوحيــد وإخلاص العبادة لله تَنَقُّصاً لأهل الرُّتَب العالية والمقامات الرفيعة من الأنبياء والأولياء ، ولا يدري أنه هو الذي تنقّصهم بافترائه عليهم ما هم ضِدّه تماماً من إخلاصهم عبوديتهم لربهم وعدم شركهم به ، وسوف يكفرون بشِرْكه يوم القيامة ويتبَرَّؤون منه ويكونون ضِدَّه .

كذلك يَتّهم الموحِّد بأنه لا يُحب الأنبياء والأولياء لأنه لا يصرف لهم عبودية خالقه ، وقد كَذَبَ المشرك فالذي في قلب الموحِّد من محبة الأنبياء والأولياء عظيم لا يعرفه المشرك الخبيث النجِس ولا يصل إلى قلبه ، لأن الموحد محبته لهم عبودية لربه ولا يرفعهم فوق مقاماتهم بالغلو بهم واعتقـــاد نفعهم وضرهـــم فهي محبـــة عظيمة تضعهم موضعهم بأنهم عبيـــد لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضَرًّا فضلاً عن غيرهم .

أما المشرك فمحبته لهم عبودية لهم بتشريكهم مع الله في حقه الخالص من العبادة ، فهي محبة باطلة ، وهم أعظم الخلق معاداة له وتبرءاً منه لأنهم موحدون لربهم لم يجعلوا بينهم وبينه وسائط ، فهو مع شركه بربه مُسخط لهم غاية السخط ومُضَادّ لطريقتهم غاية المضادَّة .

وإنما غَرَّه الشيطان الغَرور بأن صَوّر لـــه الشركَ محبةً للصالحين والتوحيـــدَ تنقّصاً لِمَقاماتهم ، وسوف يتبَرأ منه

الشيطان يوم القيامة إذا أوْرده جهنم وبئس المصير .

والخلاصة أنَّ أهل القبور بين مُنَعَّم ومُعَذَّب ، مشغولون عمَّن دعاهم وخافهم ورجاهم ، قال تعالى : ﴿ **إِنْ تَدْعُوهُـــمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَـــا اسْتَجَابُـــوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ [١] .

واللـــهُ سبحانه أرحم الراحمين .. لا يحتاج لِمَن يسترحمه لعباده .

وهو بكل شيء عليم .. لا يحتاج لِمَن يعلمه بأحوالهم .

وهو على كل شيء قدير .. لا يحتاج لِمن يُعينه .

والْمُلْكُ كلُّه له ، والخلق كلهم عبيده ، والتدبير كله لـــه - جلَّ جلاله - .

---

(١) سورة فاطر ، الآية : ١٤ .

فالْمُشرك خاسر في الدنيا والآخرة ، ملعون في الدنيا والآخرة .. ﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ** ﴾ (١) .

إنَّ كثيراً من الناس يقعون في الشرك وهم لا يشعرون ؛ فإذا زُرْتَ قبر المسلم تُسَلِّم عليه وتدعو له بالمغفرة والرحمة لأنه ميت وعمله منقطع وبحاجة إلى الدعاء له ، وتتذكر موتك أنت وأنك لاحِقٌ به لا محالة فترجع مستعداً للرحيل للدار الآخرة بالأعمال الصالحة كما رَحَل هو ، ولا تزيد على ذلك شيئاً ، إلاَّ إذا أردت مخالفة ربك ونبيك بالدخول بالشرك ، واعلم أنَّ الزيارة للميت مثل الصلاة على جنازته حيث يُدعا له فقط ولا يُدعا هو .

وكثير من الناس لا يعرف الشرك ، ولذلك يفعله وهو يظنه من أفضل العبادة فيقع في أعظم ذنب وهو الشرك

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٦٦ .

الموجب للخلود في جهنم ؛ فهو يقول لك : " أنا لا أشرك ، أنا أعبد الله ، أنا أصلي لله وأصوم ، وأدعو الله ، وأذكر الله ، فكيف أكون مشركاً ؟! ، أعوذ بالله من الشرك " ؛ فإذا قال ذلك فقل له : (أنا لا أُكذِّبك في كونك تعبد الله وتصلي وتصوم ، وإنما أقـــول لك : أنت تشرك مع كونك تصلي وتتعبّد .. ألسْتَ تزور القبور للتبرك وليتوسّطوا لك عند الله ليقضي حاجاتك وليغفر لك ويرحمك ؟!) .

سيقول : " نَعَم ، هؤلاء أولياء وصالحون .. لهم جاه عند الله ، وأنا لا أريد منهم ، إنما أريد من الله بجاههم وبِحُكم أنهم صالحون ومقربون " .

فإذا قال ذلك فقل له : (هذا هو الشرك الذي وقَعَتْ به الأمم الضالة قبلنا ، فأخذهم الله بعذابه ، فاحذر من ذلك غاية الحذر) .

وقل له : (أنا أعلم أنك تفعل ذلك لتتقرب به إلى الله

بل تَعُدُّه من أفضل أعمالك ، ولذلك يحضر قلبك عند القبر ويحضرك الخشوع ما لا يكون وأنت تصلي في المساجد !) .

وقل له : (مِن أين أتيت بفعلك هذا ، فإنه ليس في كلام الله ولا كلام رسوله ﷺ أن الميت يُتقرب إليه ، ويُتبرك به ، ويُذبح له ، ويُنذر له ، ويدعا ، ويُخاف ، ويرجى ، ويتوسط ، ويشفع لمن فعل معه ذلك .

بل في القــرآن وكلام الرسول ﷺ أنَّ ذلك أعظم الذنوب ، وهو الشرك الأكبر ، وهو الذي أول مَن فعله قوم نوح - عليه السلام - لأن ودّاً وسُواعاً ويغوث ويعوق ونسراً رجالٌ صالحون ، ولَمَّا ماتوا غلا قوم نوح بهم لصلاحهم ، فجعلوهم وسائط بينهم وبين الله تعالى ، فصاروا مشركين بهذا الغلــو ، حيث توجهت قلوبهم إليهم بالدعــاء ، والخوف ، والرجــاء ، ليقربوهم إلى الله بزعمهم ، فوقعوا بالشــرك ، وأخذهم الله بالطوفان) .

وإذا قال لك : " كيف تجعل محبة الصالحين والأولياء شركاً ؟! " .. فقل له : ليست محبتهم شركاً ، بل عبادة لله ، وإنما الشرك وَضْعهم في غير مواضعهم وإنزالهم في غير منازلهم التي أنزلهم الله فيها ، فهم عبيد .. الأنبياء والصالحون عبيد لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيرهم ؛ ومحبتهم إمّا أن تكون عبادة لله أو تكون شركاً ، والفرق واضح ، فإذا أحببتهم لصلاحهم ولحب الله لهم فهذه عبادة لله عز وجل ، وهي من أفضل العبادات ، وهي الْحُبّ في الله .

أما إذا زَعَمْتَ حبهم بالتقرب إليهم بحق الله الخالص الذي ليس له فيه شريك لا هُمْ ولا غيرهم مثل الدعاء والذبح والنذر والاستغاثة ، ونحو ذلك من العبادات التي أوْجبها الله عليك وعليهم بأن تكون خالصة له لا يُصرف شيء منها لغيره ولو كان محمداً ﷺ ، فمحبتك هذه لهم شركية وهي محبة مع الله لا لله ، وهم يُعادونك أشد العداوة على ذلك

ويتبرءون منك ومن عملك .. لأنهم إن كانوا أنبياء وأولياء وصالحين فإنما عبدوا الله عبادة خالصة ضد عبادتك حيث أخلصوا لـــه بعدم التقرب لأي وسيلة أوْ واسطة ، بل كل عباداتهم خالصة ، فأنت جنيت على نفسك وعليهم ، وغرَّك الشيطان بأن خيّل لك أنهم يحبونك لتقربك إليهم وصَرْفك بعض حق الله لهم ، فجعلتهم شركاء لله من هذا الوجه ، ولاَ ينفعك أن تقول : " أنا أُقر أن الله هو الذي خلقني ، وهو الذي يرزقني ، وهو الخالق للسموات والأرض وجميع المخلوقات " ، لأنَّ أبا جهل يقول ذلك ولا ينفعه ، فهذا توحيد أفعاله هو سبحانه ، ولا يُدخلك في الإسلام لأن الإسلام مع هذا لابُدَّ فيه من توحيد أفعالك العباديـــة بأن تكون كلها لله ، فكما أنه لابد للصلاة من الطهارة من الحدث فالتوحيد وتحقيق معنى" لا إله إلا الله " قولاً وعملاً أعظم ، لأن نجاسة الشرك لا تطهرها بحار الدنيا ، فلابد من التوبة منه بأن تعتقد

في أهل القبور أنهم أموات لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم خيراً ولا شراً ، وأن تفعل معهم إذا كانوا مسلمين ما أمرك به الله ورسوله ﷺ إذا زُرْتهم من السلام عليهم والدعاء لهم لاَ دعاءِهم ولا تزيد على ذلك [١] ؛ بل حتى قبر النبي ﷺ إذا وقفت عنده لا تزيد على السلام عليه وعلى صاحبيه ، ثم تذهب .

فإذا أردتَ الدعاء لضيقٍ حلّ بك ، أو كرْب أحاط بك من مرض قلب أو مرض بدن أو فاقة أو حاجة ، أو سؤال الجنة والاستعاذة من النار فَوَجِّه قلبك وهِمَّتك وإرادتك وطلبك مباشرة إلى مَن هو سبحانه فوقك فوق السموات السبع مستو على عرشه العظيم ، فهو السميع الْمُجيب والحيُّ الذي لا يموت وهو القائل سبحانه : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [٢] ولَم يقل : " أدعو أنبيائي أو أوليائي " ،

---

(١) تقدم ذكر صفة السلام على أهل القبور من المسلمين في ص (٤) .
(٢) سورة غافر ، من الآية : ٦٠ .

ولِهَذا امتدح الله عباده الموحدين الصالحين بقوله - سبحانه - : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ** ﴾ [١] .. فَمَن صرَف شيئاً من العبادات التي هي حق الله - كما تقدم بيانه - لأيِّ مخلوق سواء صنماً أو قبراً أو نبياً أو مَلَكاً أو جنياً فقد اتخذه إِلَهاً من دون الله بهذه الكيفية ولو قال : " أنا أعلم أنه مخلوق ولا ينفع ولا يضر " .

وإذا قال ذلك قيل لــه : إذا كنت صادقاً في أنه مخلوق والنافع الضار هو الله فلماذا تُحرِّك قلبك إلى المخلوق رجاءً وخوفاً ودعاءً وتبركاً ، فالسِّرّ هنا هو أنك إذا اعتقدت أنه مخلوق لا ينفع ولا يضر لا يمكن أن يتحرك قلبك بخوفه أو رجائه ، ولا تجود بِمَالك للذبح لــه والنذر لــه ، ولا تخرجه عن طَــوْر المماثلــة في العبوديــة وسلْب خصائــص الربّ - سبحانه - عنه .

(١) سورة الفرقان ، من الآية : ٦٨ .

تنبيه مهم جداً :

وهو أنَّ مَن يتوجَّه قلبه لصاحب القبر سواء كان نبياً أوْ وَلياً أوْ كافراً أو فاسقاً - كما تقدم بيانه - فإنه يَتَعَرّض لفتنة سوداء مظلمة يظنها ثمرة تَقَرّبه للميت وقبولــه منه وتحقيقه لِمَطْلبه فيفرح بذلك ويشْتد اعتقاده بالمقبور ، وذلك أنه قد يرى المقبور يخرج من قبره ، وقد يُسلِّم عليه ، وقد يقضي له حاجته وقد يُحْضِر له بعض المال سواء عند الضريح أو بعيداً عنه ، وقد يدفع عنه ما يؤذيه ، وهو لا يشك أن هذا صاحب القبر .. وحتى لو كان يعرفه في حياته لَمَا تغيَّر عليه من صفاته شيء ، فهذا وأضعافــه يحصل في اليقظة وفي المنام ؛ ومن الخطأ الفاحش والجهل إنكار ذلك لأن إنكاره يزيد في إغْراء مَن حصل له بالتمسك بما هو عليه لأنه حصلت له حقائق قد باشرها ، فمن المحال إبطالها بمجرد الإنكار .

وإنما يبيَّن لــه أنه فُتِن حين أشرك بربه ، وذلك أن

الشيطان لَمَّا أضلّه بالشرك أراد أن يُرَسِّخ الفتنة في قلبه فتمثّل له بالميت وقضى بعض حوائجه لأنه أرضاه ، بل عَبَدَه ، والله سبحانه أقدر الشياطين على ذلك وأعظم منه .

ومن هنا اشتدت فتنة عُبّاد القبور والأصنام فظنوا أنهم على شيء ، وهم على الحقيقة قد وقَعوا في أعظم الذنوب وهو الشرك بالله ، وإنما غرَّهم الشيطانُ بما يُسْمِعهم أو يُريهم عند القبر خُداعاً منه ليزيد تعلق قلوبهم بالميت وتنصرف عن تعلقها بخالقها وربها - تبارك وتعالى - ! .

وهذا الذي ذكرته يقعُ كثيراً جداً ، وفي كل زمان ، وهو من أعظم ما أوقع أهل الإشراك في الشرك .

وقد ذَكَر العلماء من ذلك ما يطول وَصْفه ، ومَن شاء فليسأل مَنْ يعتقد بأهل القبور أو الأصنام يَجِد عندهم حكايات وعجائب تحدث لهم ولغيرهم يعتقدونها من كرامات الوَلِيِّ ومن علامات رضاه عنهم ، وإنما اقْتَطَعهم الشيطان عن

ولـــيِّهم الحقِّ سبحانه وأوْقعهم بالشرك بهذا الخداع ليأخذهم معه إلى جهنم وبئس المصير ! .

ولاَ نَجَاة من ذلك إلا بالتوحيد ، وهو إخلاص العبادة لله سبحانه وإفْراده بتعلّق القلب في الرغبة والرهبة ، والضَّرْب صفحاً عن أهل القبور والـــبُعْد عنهم إلا زيارة على السُّنة ، وهي السلام عليهم ، وسؤال الله الرحمةَ لهم والمغفرة إن كانوا مسلمين .

وأمرٌ آخر أذكره هنـــا لِصِلَتِـــه بهذا الموضوع ، وهـــو ما يُسمى بـــ" **تحضير الأرواح** " ، وصِفَتُه أنَّ بعض الدجاجلة يتقربون إلى الشياطين بالشرك ، إمَّا أنْ يدعوهم ويذبحون لهم أو غير ذلك من عبادتهم ، ثم إنَّ الشيطان يُقدّم لهم بعد ذلك من الخدمة ما يريدون ، فيزعم هذا الدجال أنه يُحَضِّر أرواح الموتى ، فيأتي إليه بعض الناس ويقول له : " أريد منك أن تحضر روح أمي أوْ أبي أوْ جدّتي - حسب الطلب - " ،

ويُعطيه مالاً مقابل ذلك ، ثم إنَّ العملية تتم بغاية البساطة ، حيث يجلس عنده في محل وغالباً ما يكون مظلماً لأن الشياطين تحب الظُّلمة ، فيطلب الدجال من ولِيِّه الشيطان إحضار روح أم هذا أو أباه أو جده أو ما شاء من الموتى ولو كانوا قد ماتوا من سنواتٍ طويلة ، فيأتي الشيطان ويتكلم بحيث يسمعه الرجل فيظنّ أن هذه روح مَن طلب إحضار روحه ، فيخبره بأخبار قديمة وحديثة لا يشك فيها الرجل لأنها واقعة وحاصلـــة ، فقد يُخبره أين كان مسكنه قبل موته وما حصل لأولاده أو مسكنه أو ماله أو أقاربه بعد موته ، كذلك يُخبره إذا سأله عن أشياء حقيقية حاصلة للرجل ، فلا يرتاب أن هذه روح أمه أوجدته أو الروح التي طلب ، وأنها تخبره من الغيْب .

فهذا وأعظم منه يفعله الشيطان لأنه يعلم أحوال الناس ، ويعلم ذلك إخوانه وقرناؤه ويتعاونون على إضلال الناس ، وهم يعرفون الناس سواء الأحياء أو الأموات ، ويعلمون

أحوالهم وشؤونهم ، فهذا سهل بالنسبة إليهم كما يعلم الناس بعض شؤون بعضهم وأمورهم ، لكن الله تعالى أقدر الشياطين على مالا يقدر عليه الناس ابتلاءاً منه سبحانه وامتحاناً ، فبالنسبة للأحياء فهم معهم ويروْن الناس والناس لا يروْهم ، ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [1] ، كذلك يعلمون من أحوال الأموات قبل موهم أشياء كثيرة ويُخبرون بها .

والمراد أن هذا فعل الشياطين مع إخوانهم وأوليائهم من الإنس الذين يتقربون إليهم بالشرك .

أما تحضير روح الميت ، فهذا مُحال وهو من أكذب

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٢٧ .

الكذب ، فالميت روحه مُمْسَكة إما في نعيم أو عذاب وليس للأموات من الأمر شيء ، ولو قَدِروا على شيء لخرجوا من قبورهم ونفعوا نفوسهم قبل أن يُفكروا في نفع غيرهم ! .

فيا له من غرور سوف يندم المتمادي فيه غير التائب منه حين لا ينفعه الندم ! .

وأكثر من يُــرَوِّج هذه الضــلالاتِ الكهــانُ الذين يستخدمون الجن ، كذلك سَدَنَة القبور الدَّجَاجلة الذين يَتَأكَّلون بالشرك والكذب ، حيث يزيدون على ما يحصل من الشياطين عند القبور وفي مواضع ما يسمونه تحضير الأرواح دَجَلاً كثيراً لِــيُعَلِّقوا قلوب الناس بالكفريات والضلالات والخرافات ، ويأخذوا أموالهم .

كذلك فإنه يُفعل عند المشهد المسمى " مشهد الحسين " في مصر من الشرك ما الله به عليم مع أنه ليس في مصر من الحسين ولا شعرة ! .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (المشهد الذي بُني بالقاهرة على رأس « الحسين » كذب باتفاق أهل العلم ، ورأس الحسين لم يُحمل إلى هناك أصلاً) (١) .

وقال : (وقد اتفق العلماء كلهم على أنَّ هذا المشهد الذي بقاهرة مصر الذي يقال له : " مشهد « الحسين » باطل ليس فيه رأس الحسين ولا شيء منه ، وإنما أُحْدث في أواخر دولة بني عبيد الله ابن القداح الذين كانوا ملوكاً بالديار المصرية مائتي عام) (٢) .

وقال - رحمه الله - : (وأما بَدَن « الحسين » فبِكَرْبلاء بالاتفاق) ، ثم ذَكَر ما ثبت عن « أبي عبد الله القرطبي » - صاحب التفسير - أنه كان يُنكر هذا المشهد ويقول : (إنه كذِب ، وأنه ليس فيه قبر « الحسين » ولا شيء منه) ، ثم

(١) « مجموع الفتاوى » ، (١٧/ ٥٠٠) .
(٢) « مجموع الفتاوى » ، (٤/ ٥٠٨) .

قال : (والذين حدثوني عن « ابن القسطلاني » ذَكَروا عنه أنه قال : " إنَّما فيه نصراني ") انتهى [١] .

ولوْ كان الحسين رضي الله عنه حَيًّا في ذلك الموضع فلن يملك لنفْسه شيئاً فضلاً عن غيره لكنها الفتنة والضلال البعيد ، كذلك ضريح « البدوي » في طنطنا يُفعل عنده من الشرك شيء عظيم من الذبح له والنذر والدعاء والتبرّك والشكوى لدفع البلوى أو جلب النّعماء مما لا يقدر عليه إلا الحي الذي لا يموت ؛ وذلك هو الشرك الأكبر والعياذ بالله .

وكمْ وكم من حكاياتٍ عند القبوريين بأنَّ السيِّد « أحمد البدوي » فعَل كذا ونفَع بكذا وضَرَّ بكذا !! ، وهو الدّجَل الذي يُرَوِّجه السَّدنة وأمثالهم ليأكلوا أموال الناس ، والذي يصح من حكاياتهم هو مِن فِعْل الشياطين - كما تقدم بيانه - لأجْلِ الفتنة ، فالحذر الحذر من موجبات عذاب سَقَر .

---

(١) « مجموع الفتاوى » ، (٢٧ / ٤٩٣) .

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (هل المشاهد المسماة باسم « علي بن أبي طالب » وَوَلده « الحسين » - رضي الله عنهما - صحيحـــة أم لا ؟! ، وأين ثَبَت قبـــر « علي » ؟!) ، فأجاب : (أما هذه المشاهد المشهورة فمنها ما هو كذب قطْعاً : مثل المشهد الذي بظاهر دمشق المضاف إلى « أُبَيٍّ بن كعب » ، والمشهد الذي بظاهرهـــا المضاف إلى « أويس القرني » ، والمشهد الذي بمصر المضاف إلى « الحسين » ﷺ إلى غير ذلك من المشاهد التي يطول ذكرها بالشام والعراق ومصر ، وسائر الأمصار ؛ حتى قال طائفة من العلماء منهم « عبد العزيز الكناني » : " كل هذه القبور المضافة إلى الأنبياء لا يصح شيء منها إلا قبر النبي ﷺ " ، وقد أثبت غيره أيضاً قبر « الخليل » - عليه السلام -) انتهى [١] .

وقال - رحمه الله - عن " مشهد عَليّ " : (فعامة

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٢٧ / ٤٤٦) .

العلماء على أنه ليس قبره ، وجمهور أهل المعرفة يقولون : " إن « عَلِـــيًّا » إنما دُفن في قصر الإمارة بالكوفة أو قريباً منه ") .

وقال - رحمه الله - في شأن القبور : (معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الإسلام) انتهى (١) .

وقال عن الطواف : (فلا يجوز لأحد أنْ يطوف بحجرة النبي ﷺ ولا بغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين ، ولاَ بصخرة بيت المقدس ، ولا بغير هؤلاء كالقبة التي فوق جبل عرفات وأمثالها ، بل ليس في الأرض مكان يُطاف به كما يُطاف بالكعبة ، ومن اعتقد أن الطواف بغيرها مشروع فهو شَرٌّ مِمَّن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة) انتهى (٢) .

وفي " مصر " قبــور أخرى يُشْرك بها مثل ما يسمونــه " الدسوقي " و " نفيسة " و " زينب " و " الغريب " وغير

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٢٧ / ٤٤٧) .
(٢) « مجموع الفتاوى » (٢٧ / ١٠) .

ذلك مِمَّا هو مكذوب أوْ صحيح ولكن فُتِنَ به مَن فُتِن - نسأل الله السلامة والعافية - ، وأشجار أيضاً تُعَلّق عليها الثياب وتُعمل عليها العُقد ويُعْتقد فيها ، وكل هذا دِين الشيطان وعبادته ، وهي من جِنْس السدرة ذات الأنواط ، وفي غير مصر الشام وغيره .

ويكفي هنا أنْ أضْرِب مِثالاً واحداً وهو قبر الرسول ﷺ ، وأنه لو كان معه في قبرِه الأنبياءُ والرسلُ والملائكة أجمعون وجاء مَن يزعم أنه يطلب الشفاعة والوساطة منهم بينه وبين الله لأنهم مُقربون وَوُجَهاء ، فدعاهم أو نَذَرَ لهم أو استغاث بهم وقع في الشرك الأكبر ، وما انتفع مثقال ذرة ، ويوم القيامة يكونون أشد الخلق له عداوة مع تبرئهم منه ، والسِّرُّ في ذلك أن هذه الفاقة التي في القلب والتّوَجّه والانكسار هو عبادة جعلها الله في قلوب عباده له بلا وسيط ولا شريك فِطرةً وتشريعاً ، فَيَتَوَجّه القلب مباشرة إلى فوق لِسيّده ومولاه

الحي الذي لا يموت وهو على عرشه فوق سمواته يسمع عباده ويراهم ، وليس بحاجة إلى من يُبَلِّغه حوائجهم لأنه أعلم بهم من نفوسهم فضلاً عن غيرهم ، وهو أرحم الراحمين ، القريب المجيب ، وهو على كل شيء قدير ، ليس له ظهير ومعين ، ولا يقبل من العبادة إلا ما أُفْرِدَ به باتباع رسوله ﷺ .

ثم لِيَعلم عباد القبور أن الشيطان إنما احْتال عليهم بحيلة طلب الشفاعة والوساطة والقرب من الله ولأن أهل القبور في عالم الغيب لأنه يعلم أنه لوْ قال لهم : " أهل القبور هم الذين خلقوكم وهم يرزقونكم ويدبرون أموركم " لكذّبوه ولَمَا أطاعوه بالتقرّب إليهم ، ولكنه جاءهم بهذه الحيلة وهي الوساطة بدعْوى القرب والوجاهة وأن ذلك من محبتهم ، فأوقعهم في الشرك بهذا الاعتقاد ، فصاروا منَ ﴿ **الأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ**

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ [١] ، قال تعالى : **﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾** [٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له ، سواء كان نبياً أو غير نبي ، ولهذا كان الصحابة إذا زاروا النبي ﷺ يُسلّمون عليه ويدعون له ثم ينصرفون ، ولَم يكن أحد منهم يقف عند قبره ليدعو لنفْسه) انتهى [٣] .

وقال - رحمه الله - : (وأما التمسّح بالقبر - أيّ قبر كان - ، وتقبيله ، وتمريغ الخد عليه ، فمنهي عنه باتفاق المسلمين ، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء ، ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هذا من الشرك) انتهى [٤] .

---

(١) سورة الكهف ، الآيات : ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٢٠ .

(٣) « مجموع الفتاوى » (٢٧ / ٣٠) .

(٤) « مجموع الفتاوى » (٢٧ / ٩١) .

وقد ذَكَرْتُ فيما سَبَق أنَّ القبوريين يَتّهمُون الموحِّدَ إذا نهاهم عن الشرك وذرائعه ، وأنْ يجعل العبد عبادته خالصة كلها لربه .. أنه لا يُحب الأنبيــاء والأوليــاء ؛ وهو اتّهام باطل - ولله الحمد - ، فالموحّد يُفَرِّق بين ما لِله وما لأنبيائه والصالحين من عباده من حقوق ولا يخلط بين حق ربه الذي لا يقبله إلا خالصاً بلا شريك وبين حقوق عباده ، سواء الأحياء أو الأموات .

وتأمل الآن كلام شيخ الإســلام حتى تَعلَم افْتــراءَ القبوريين على الموحِّدين .

قال - رحمه الله - : (والله سبحانه أمَرَنا أنْ نُطيع رسوله ﷺ فقال : ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ (١) ، وأمرنا أن نتبعه فقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

---

(١) سورة النساء ، من الآية : ٨٠ .

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) ، وأمرنا أنْ نُعزره (٢) ونوقره وننصره ، وجعل له من الحقوق ما بَيّنه في كتابه وسنة رسوله ﷺ ، حتى أوْجب علينا أن يكون أحبّ الناس إلينا حتى من أنفسنا وأهلينا فقال تعالى : ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** ﴾ (٤) ، وقال ﷺ : " والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " (٥) ، وقال له عمر

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣١ .

(٢) نعزره : ننصره .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٦ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٢٤ .

(٥) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم (٤٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً .

رضي الله عنه : يا رسول الله .. لأَنْتَ أحب إليَّ من كل شيء إلاَّ من نفسي ، فقال ﷺ : " لا يا عمر .. حتى أكون أحب إليك من نفسك " ، قال : فلأنت أحبّ إلَيَّ من نفْسي ، قال رسول الله ﷺ : " الآن يا عمر ! " [١] ؛ وقال ﷺ : " ثلاث مَن كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمـــان : مَن كان الله ورسولـــه أحب إليه مِمَّا سواهما ، ومَن كان يحب المرء لا يُحِبُّـــه إلا لله ، ومَن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النـــار " [٢] ؛ وقد بَيَّن في كتابـــه حقوقـــه التي لا تصلح إلا لـــه وحقوق رسله وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض) انتهى [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم (٦٢٥٧) عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال : (كنا عند رسول الله ﷺ) ، فذَكَره .

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم (١٦) ، ومسلم في « صحيحـــه » برقم (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أنظر كتاب : « زيارة القبور » من كلام شيخ الإسلام ، ص (٧٧ - ٧٨) .

هذا - ولله الحمد - هو مُعْتقد الموحّد وعليه عمله ، أمَّا دَعْوى القبوري أنه يحب الأنبياء ويحب الأولياء فهو من أبطل الباطل لأنها محبة شركيـــة ، يبغضونه ويُعادونـــه ويتبـــرؤن منه لأجلها ، لأنه شرّكهم في حق الله الخالص .

أما الموحِّد فمحبته لهم عظيمة على حسب أقدارهم لكنها لا تقوده إلى الغلو بهم وإنزالهم في غير منازلهم ، فلاَ يُخرجهم عن طَوْر المماثلة بالنسبة للبشرية وعدم القدرة على جلب نفع أو دفع ضر فَـــيُميِّز بين حقوقهم وحق معبوده كما مَيّزوا هم ذلك وعادَوْا من اختلط عليه الأمر وتبرءوا منه .

والذي جعل القبوريين يُشركون هو - كما قال " ابن تيمية " رحمه الله - : (العكوف على القبور ، والتمسّح بها ، وتقبيلها ، والدعاء عندها وفيها ، ونحو ذلك .. هو أصل الشرك وعبادة الأوثان ، ولهذا قال النبي ﷺ : " اللهم لا تجعل

قبري وثناً يُعبد " [١]) انتهى [٢] ، وقبره ﷺ لا يُوصل إليه ، أما ما يفعله الضالون من شِرك فبالحديد المجاور ! .

كذلك فإنَّ مما فتنهم بأهل القبور ما ذكره الشيـــخ محمد بن علي الشوكاني اليماني - المتوفى سنة (١٢٥٠ من الهجرة) - ، وهو كلام نفيس .

قال - رحمه الله - : (فلا شك ولا ريب أن السبب الأعظـــم الذي نَشَأَ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زَيَّنَه الشيطان للناس من رفع القبور وَوَضْع الستور عليها ، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة ، وتحسينها بأكمل تحسين ؛ فإنَّ الجاهل إذا وَقَعَتْ عينه على قبر من القبور قد بُنِيَتْ عليه قبة فدخلها ، ونظر على القبر الستور الرائعـــة ، والسّرُج المتلألئة

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » برقم (٤١٤) من حديث عطاء بن ياسر - رحمه الله - مُرسلاً .

(٢) « مجموع الفتاوى » (٢٧ / ١١٤) .

وقد سطعت حوله مجامر الطيب ، فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر ، ويضيق ذهنـــه عن تصوّر ما لِهَذا الميت من المنزلة ويدخله من الرّوْعَة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين ، وأشدّ وسائله إلى ضلال العبد مما يُزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً حتى يطلب من صاحب ذلك القبر مالا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، فيصير في عِداد المشركين ؛ وقد يحصل لـــه هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصِّفَة وعند أول زَوْرَة له ، إذْ لابدَّ أنْ يخطر بباله أنَّ هذه العناية البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا تكون إلا لفائدة يرجونها منه إما دنيويـــة أو أخرويـــة ، فَيَسْتصغر نفْسه بالنسبـــة إلى من يراه من أشباه العلمـــاء زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه ومُتَمسِّحًا بأركانه) انتهى [١] .

---

(١) أنظر : « الجامع الفريد ، يحتوي على كُتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية » ، ص (٥٢٧).

هذا واللهِ كلام خبير ! ، ومن أجْلِ هذه الشبهة وغيرها جاءت الشريعة بالتغليظ الشديد على كل ما يُمَيِّز القبر ويَشْهره زيادةً على ترابه .

وتأمل قول الشوكاني - رحمه الله - : (**فإنَّ الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بُنيت عليه قبة**) إلى آخر كلامه .. تعلم أن الذي يغتر بذلك هو الجاهل ، ولا يقصد بالجاهل الذي ليس عند شهادة علوم هذا العصر الْمُحْدَثة وإنما الجاهل الذي لا يعرف التوحيد وهو معنى شهادة (**أن لا إله إلا الله**) .

أما الموحِّد فلوْ لَم يكن يقرأ ولا يكتب فلو رأى قبراً عليه قبة من ياقوت وذهب وفضة ومرفوعة إلى السماء لَمَا الْتفت قلبه لصاحب القبر ، وعَلِم أن هذا من فعل شياطين الإنس والجن ؛ لأن الموحِّد يعرف وِجْهَة قلبه ، وأنها ليست للعالَم السفلي كله ، ولا الشمس والقمر والنجوم ، ولا ما

فوق ذلك في السموات السبع من الملائكة ، وإنما للذي عرشه فوق هذا العالَم العلوي كله ، وهو الحي السميع البصير ، والعليم القدير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (ثم يقال لهذا المشرك : أنت إذا دعَوْت هذا فإنْ كنت تظن أنه أعلم بحالك فهذا جهل وضلال وكفر ، وإنْ كنت تعلم أنَّ الله أعلم وأقدر وأرحم فَلِمَ عَدَلت عن سؤاله إلى سؤال غيره ؟!) انتهى [١] .

وقال : (فليس في الزيارة الشرعية حاجة الحيِّ إلى الميت ، ولا مسألته ولا توسّله به ، بل فيها منفعة الحي للميت كالصلاة عليه ، والله تعالى يرحم هذا بدعاء هذا وإحسانه إليه ، ويُثيب هذا على عمله ، فإنه ثَبَت في الصحيح عن النبي ﷺ : أنه قال : " إذا مَاتَ ابن آدم انقطع عمله إلا مِن ثلاث :

---

(١) « مجموع الفتاوى » ، (٢٧ / ٧٤) .

صدقـــة جاريـــة ، أو عِلْم يُنتفع بـــه ، أوْ ولد صالِح يدعو لـــه " [١]) .

وقال - رحمه الله - : (وأما الأشجار والأحجار والعيون ونحوها مما ينذر لها بعض العامّة ، أو يُعلقون بها خِرَقاً ، أو غير ذلك ، أو يأخذون ورَقَها يتبركون به ، أو يُصَلُّون عندها ، أو نحو ذلك ؛ فهذا كله من البدع المنكَرة ، وهو من عمل أهل الجاهلية ، ومن أسباب الشرك بالله تعالى .

وقد كان للمشركين شجـــرة يُعلِّقـــون بها أسلحتهم يُسمُّونها " ذات أنواط " ، فقال بعض الناس : يا رسول الله .. اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال ﷺ : " الله أكبر ! ، قلتم كما قال قوم موسى لموسى : ﴿ **اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾ [٢] .. إنها السُّنن ، لتَركبُن سَنَن مَن كان

---

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » برقم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) سورة الأعراف ، من الآية : ١٣٨ .

قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو أنَّ أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه " [١] .

وقد بلغ « عمر بن الخطاب » أنَّ قوماً يقصدون الصلاة عند " الشجرة " التي كانت تحتها بيعة الرضوان التي بايع النبي ﷺ الناس تحتها ، فأمر بتلك الشجرة فقطعت) انتهى [٢] .

وقال - رحمه الله - في زيارة المشاهد : (وأول مَن وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البِدَع من الرافضة ونحوهم الذين يُعطِّلون المساجد ويُعظِّمُون المشاهد ، يَدَعون بيوت الله التي أمَر أن يُذكر فيها

---

(١) أخرجه الحاكم في « مستدركه » برقم (٨٤٠٤) بهذا اللفظ من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ، وصححه ووافقه الذهبي ؛ وأخرجه البخاري في « صحيحه » برقم (٦٨٨٩) دون قوله (وحتى لو أنَّ أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه) .

(٢) « الفتاوى الكبرى » ، (٤ / ٣٧٣) .

اسمه ويُعبد وحده لا شريك لـــه ويعظمون المشاهد التي يُشرك فيها ويُكْذَب ويُبتدع فيها دين لم يترل الله به سلطاناً ؛ فإن الكتاب والسنة إنما فيها ذِكر المساجد دون المشاهد كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [(١)]) ، وذكر آيات فيها ذكر المساجد لا المشاهد ، ثم قال : (وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه كان يقول : " إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجـــد فإني أنهاكم عن ذلك " [(٢)] .

وقال ﷺ في مرض موته : " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يُحَذِّر ما فعلوا ،

---

(١) سورة الأعراف ، من الآية : ٢٩ .

(٢) أخرجـــه مسلم في « صحيحـــه » برقـــم (٥٣٢) من حديث جُنـــدب بن عبد الله رضي الله عنه .

قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كَرِه أنْ يُتخذ مسجداً [١]) انتهى [٢] .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - :

(" فَصْلٌ في الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيــارة المشركين " ؛ أما زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء :

أحدها : تذكّر بالآخــرة والاعتبار والاتعاظ ، وقــد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله : [زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة] [٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » برقم (١٣٣٠) ، ومسلم في « صحيحه » برقم (٥٢٩) من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

(٢) « مجموع الفتاوى » ، (٢٧ / ١٩١) ؛ وقولهــا : (**ولكن كَرِه أنْ يتخــذ مسجداً**) كراهة تحريم .

(٣) أخرجه ابن ماجه في « سننه » برقم (١٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو **حديث حسَن** .

الثاني : الإحسان إلى الميت ، وأن لا يطول عهده بــه فيهجره ويتناساه كما إذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناســاه فإذا زاره الحيُّ فرح بزيارته وسُرَّ بذلك ، فالميت أولى لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها إخوانهم وأهلهم ومعارفهم فــإذا زاره وأهدى إليه هدية من دعاء أو صدقة أو أهدى قربة ازداد بذلك سروره وفرحه كما يُسَرّ الحي بِمَن يزوره ويُهدي له ، ولهذا شَرَع النبي ﷺ للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بــالمغفرة والرحمة وسؤال العافية فقط ، ولَمْ يشرع أن يدعوهم ولا أن يدعوا بهم ولا يصلي عندهم .

الثالث : إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ما شَرَعه الرسول ﷺ ، فَيــُحسن إلى نفسه وإلى المزور .

وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ من عُبّاد الأصنام ، قالوا : « الميت المعظم الذي لروحــه قُربٌ ومزيّــة عند الله لا يزال تأتيه الألطاف من الله ، وتفيض على روحه الخيرات ؛

فإذا علّق الزائر روحه به وأدناها فــاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء على الجسم المقابل له ! » .

وقالوا : « فتمام الزيارة أنْ يَتَوجَّه الزائر بِرُوحه وقلبــه إلى الميت ويعكف بِهمَّته عليه ، ويُوَجّه قصده كله وإقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره ، وكلما كان اجتماع القلب والهمّة عليه أعظم كان أقرب إلى الانتفاع به ») انتهى [١] .

قلت : فتأمل ذلك ، واعلم أنه قد يحصل مثــل هــذا الاعتقاد في الحي - أيضاً - ، وسببه الغلو في الصالحين .

ثم قال ابن القيم - رحمه الله - : (وقد ذَكَــر هــذه الزيارة « ابن سَينا » و « الفارابي » وغيرهما ، وَصــرّح بهــا عُبّاد الكواكب في عبادتها .

---

(١) « إغاثة اللهفان » ، (١ / ٢١٨ - ٢١٩) .

وهذا بعينه هو الذي أوجب لِعُباد القبور اتخاذها أعياداً ، وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السُّرُج ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومَحْوه بالكلية ، وسَدّ الذرائع المفضية إليه، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده ، وكان رسول الله ﷺ في شِقٍّ وهؤلاء في شِقّ .

وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها ، وتشفع لهم عند الله ، قالوا : « فإنَّ العبد إذا تعلّقت رُوحه بروح الوجيه المقرب عند الله وتوجّه بِهِمَّته إليه ، وعكف بقلبه عليه ، وصار بينه وبينه اتصال يفيض عليه مما يحصل له » .

وشبَّهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحَضْوَة وقُرب من السلطان وهو شديد التعلّق به ، فما يحصل لصاحب الجاه من السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلّق به بحسب تعلّقه

به ، فهذا سرّ عبادة الأصنام) [١] ، وهو الذي اعتقـــده عُبّـــاد القبور .

فتأمل هذا فإنه نافع جـــدًّا - بـــإذن الله - في معرفـــة التوحيـــد وبيان الفرقان بين عبادة الرحمن وعبادة الشيطان ، لأنَّ مقصود الشيطان بهذا أن يصرف قلب العبد عن التعلّـــق الخالص بإلهه الحق - سبحانه - ، فصاغ هذه الحيلـــة وشَـــبّه للأشقياء الخالقَ بالمخلوقين وأنَّ ذلك الفعل أنفـــع لهـــم مـــن التوحيد الخالص .

ومعلوم أنَّ مَن تعلّق قلبـــه ذلك التعلّق المذكور بغير الله - عزَّ وجل - أنه ينصرف عن عبوديته لأنَّ هذا التعلّـــق هـــو لُـــبُّها ورُوحها ، ولوْ ذَكر الله بلسانه وصلّى وصـــام وحـــج وعمل الطاعات كلها فهو مشرك من أجل هذا الاعتقاد الذي يظنه من أقرب القربات وهو أعظم شيء يُبْعده عن الله تعالى .

---

(١) انتهى مختصراً من « إغاثة اللهفان » ، (١ / ٢١٩) .

وكَلمة التوحيد (**لا إله إلا الله**) قاطعة النفــي لِهــذا التعلُّق بأيٍّ مخلوق بلا استثناء عمَّا سِوى الله وتُثْبته له سبحانه لأنه خَالِصُ حَقِّه بلا شريك ، لأنَّ (**الإله**) هو ما انجذبت إليه الروح بهذا الاعتقاد المذكور ولو لم يُسَمِّه مُتخذه (**إلهاً**) .

إنك بتأمّل المثال السابق يتبين لك جلياً أنَّ الذي يخدم ذا الجاه والحظْوة والقُرب من السلطان وهو شديد التعلــق بــه لاعتقاده أنَّ ما يحصل لذلك من السلطان من الإنعام والإفضال يناله منه بحسب تعلّقه أنه فارغ القلب من التعلق بالسلطان أو الاهتمام بشأنه ، لأنه قد أنزل حاجته بهذا الوجيه فأوجب له ذلك أن صار حُبه وذلّه وخضوعه وخوفه ورجاءه لِلْوَجيه دون السلطان .

ومن هنا انقطع المشرك عن معبوده الحقِّ بعبادة الشيطان الذي أمَرَه بهذا .

وهذا هو الشرك الأكبر الذي مَن مات عليه خُلِّـــدَ في جهنم وأعماله كلها حَابِطَة .

وإذا كان هذا هو سِرّ عبادة الأصنام والقبـــور فينبغـــي تأمّله والاعتناء به .

وهُنا يرِد سؤال وهو : (أنَّ صاحِب القبر الذي يُعتقـــد فيه ذلك الاعتقاد ليس هو كالصَّـــنَم الْجُماد حتى يكون توجُّه القلب إليهما سواء ويكون ذلك كله شِركاً !) .

فجواب ذلك هو أنَّ الأصنام معمولة ومُعْتَقَدٌ فيها على اعتبارِ معبودٍ غائب ، فالعبادة والتقرّب لَهَا بإنزالهـــا مترلتـــه كأصنام قوم « نوح » - عليه السلام - وتماثيـــل الملائكـــة بزعمهم ونحو ذلك ، ومع كل صنم شيطان يُضل ويُغـــوي ، فكذلك القبور ؛ بل الفتنة بالقبور أعظم .

وليعلم أهل الإشراك أنَّ مَن يطلبون منه الشفاعة والقربة إلى الله ليس فقط أنه ميت ، وإنَّما لأنَّ ذلك مُمتنع ومُحَال ؛ لأنَّ الله - سبحانه - هو الخالق لأفعال العباد ، فالمطلوب منه الشفاعة والتقرب إلى الله سواءً الأنبياء أو غيرهم ، لأنَّ أفعالَهم مخلوقة لله ، فهم لا يخلقون أفعالهم ولا يُحرِّكون نفوسهم لا بإرادة القلوب وحُبها وبغضها ولا الجوارح .

ومعلوم أنَّ مَطْلب المشرك من المخلوق أنْ تتحرك إرادته استقلالاً ليتوسَّط عند الله لِمَن أشركه مع الله في عبادته ، كذلك جَوَارحه بالدعاء لِتُستجاب الوساطة والشفاعة ؛ وهذا لا يقدر عليه لا « **محمد** » ولا « **جبريل** » - عليهما السَّلام - فضلاً عن غيرهما لأنَّ خالق أفعال العباد هو الله - تعالى - .

وإذا كان الأمر كذلك وأنَّ المخلوقَ مُحَرَّك وآلَةٌ صِرْفة فالنتيجة الحتميّة هي :

أولاً : امتناع واستحالة قدرة المخلوق الحي أو الميت على نفع غيره أو ضره إلاّ أن يكون الله سبحانه يخلق ذلك النفع أو الضُّر .

ثانياً : وبما أنَّ قلب المشرك مَالَ إلى غير معبوده الحق وأشْرَكه بخالص حقه وبما أن الله هو الخالق لأفعال الوسيط المزعوم فلا ريب أن الله لا يخلق بقلبه محبة ولا رحمة لهذا المشرك ولا يجعله مريدًا للشفاعة له ، بل عكس هذا يجعل في قلبه بغضه والبراءة منه والكفر بعبادته .

ثالثاً : غضب الله الشديد على المشرك وإحباطه جميع عمله لأنه صَرَف خالص حقه لمملوكه ، وعبادته لله الشركية باطلة .

إنَّ العلمَ بأن الله سبحانه يخلق أفعال العباد يقطع جذور الشرك من القلب ، فتأمَّل .

ولِـيُعلم أنه لا حجة لِمَن احتج بقبر النبي ﷺ وأنه داخل المسجد ، فهذا ليس فعل الصحابة رضي الله عنهم ، وإنما فَعَله « الوليد بن عبد الملك » ، والصحابة لا يرضون بهذا بل يُنكرونه غاية الإنكار ، وبنو (**أُمَيَّة**) أدخلوا البيت في المسجد لأجل توسيع المسجد ولَم يقصدوا تعظيم الحجرة بذلك ، ولكنهم قصدوا تعظيم المسجد ، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قُتِل « خُبيب بن عبد الله بن الزبير » بسبب إنكاره ذلك ؛ هكذا قال علماء التوحيد .

وهذه أبياتُ شِعرٍ شِرْكية توضِّح ما تقدَّم :

• قال « التواجي المصري » داعياً النبيَّ ﷺ والعياذ بالله :

يَا رَسُـــولَ الإلـــهِ إنِّي ضَعيـــفٌ
فَاشْفنِـــي أنْتَ مَقْصَدٌ لِلشِّفَـــاءِ
يَا رَسُـــولَ اللهِ إنْ لَـــمْ تُغثْنِـــي
فَإلَى مَنْ تَرَى يَكُونُ الْتجَائِي ! (١)

• ويقول « أبو المواهب البكري » داعياً النبيَّ ﷺ ! :

أقلْنِـــي عَثْـــرةً عَظُمَـــتْ	**فإنِّي ضَاقَ بِي الْمَذْهَبْ**
وخَـــلِّصْنِـــي وَخَصِّصْني	**بِســـرٍّ مِنْهُ لاَ أُسْـــلَبْ**
أغِـــثْ يَا سَيِّدِي لَـــهَفي	**وَإلاَّ مَـــنْ لَـــهُ أَذْهَبْ**
وَقُـــلْ لِي أنتَ فِي جَاهِي	**فَلاَ تَخْشَ وَلاَ تَـــتْـــعَبْ**
بِكَ اسْتَنْصَرْتُ فانصُرْنِي	**فَمَن تَنصُـــرْهُ لاَ يُغلَبْ** (٢)

(١) « شواهد الحق » للنبهاني ، ص (٣٥٢) .
(٢) المصدر السابق ، ص (٣٧٧) .

أنظر ما يفعل الشيطـــان بأوليائـــه ! ، فهذا التوجُّـــه لا يَصْلُح لغير الله ، وهو شِرْك ؛ والله - سبحانه - هو الذي لا يُغلب ، قال تعالى : ﴿ **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [١] .

• ويقول « النبهاني » مستغيثاً بالنبي ﷺ ! :

سيِّدي يـــا أبَا البَتُولِ أغِثْنِـــي   أَنْتَ أدْرَى بِمَا حَوَاهُ الضَّمِيرُ ! [٢]

والذي يعلم ما يحويه الضمير ليس النبي ﷺ بل الله - عزَّ وَجَل - الذي أنزل عليه : ﴿ **قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ** ﴾ [٣] ، والاستغاثة بغير الله شرك سواء كانت بالنبي ﷺ أو غيره .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٦٠ .
(٢) « شواهد الحق » ، ص (٣٦٣) .
(٣) سورة الأنعام ، من الآية : ٥٠ .

• وقال « محمد الجمالي الحلبي » مستغيثاً بالنبي ﷺ ! :

يَا مَلاَذي يَا مُنْجِــدي يا مُنَائـــي
يَا مَعَاذِي يَا مَقْصَدِي يَا رَجَائِـــي
يَا نَصِيرِي يَا عُمْدَتِي يَا مُجِيـــرِي
يَا خَفِيرِي يَا عُدَّتي يَا شِفَـــائِـــي
أَدْرِكْ أدْرِكْ أَغِثْ أغِثْ يَا شَفِيعِي
عَنْدَ رَبِّي وَاعْطِفْ وَجُدْ بِالرِّضَاءِ
أَنْتَ عَوْنِي وَمَلْجَئِـــي وَغِيَـــاثِي
وَجَلاَ كُرْبَتِـــي وَأَنْتَ غِنَائِـــي[1]

وماذا تَرَك لله هذا من عبودية ؟! .

• ويقول « الزمزمي المكي » داعياً النبيَّ ﷺ ! :

نَفْحَـــةً لَمْحَـــةً غِيـــاثاً عِيَـــاذاً
عَطْفَـــةً جَذْبَـــةً جَوَابـــاً نِـــدَاءَ

---

(١) « شواهد الحق » ، ص (٣٥٥) .

كَـــمْ هُمُومٍ مِنَ الدُّيُـــونِ عَلَتْنِي
أَنَـــا فِي فِكْرِهَـــا صَبَاحاً مَسَـــاءَ
ثَقَلَـــتْ حَمْـــلهـــا غَيْـــرَ أَنِّـــي
بِكَ أَرْجُـــو وَضْعـــاً لَهَا أَوْ وَفَاءَ
أَنْتَ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ نَصْبَ عَيْنِي
لاَ أَرَى لِـــي إِلاَّ سِـــوَاكَ الْتِجَاءَ
عَظُمَتْ كُرْبَتِي فَجِئْـــتُكَ قَصْداً
قَاصِـــداً لِلْعَظَائِـــمِ العُظَمَـــاءَ [(١)]

• ويقول « البرعي » مَادحاً بزعمه النبي ﷺ :

وَلَيْـــسَ مَعِي زَادٌ وَلاَ لِـــي وَسِيلَـــةٌ
سِـــوَى (هَاشِمِيٍّ) بِالْبَهَـــاءِ مُتَوَّجُ
أَلُوذُ بِـــهِ ذَاكَ الْجَنَـــابِ وَأَحْتَمِـــي
بِمَنْ هُوَ عَنْدَ الكَرْبِ لِلْكَرْبِ مُفْرِجُ

---

(١) المصدر السابق ، ص (٣٥٣) .

وَأَدْعُوهُ فِي الدُّنيا فَــتُقْضَى حَوَائِجِي

وَإِنِّي إِلَيْــهِ فِي القِيَامَــةِ أحْــوَجُ [1]

وكل هذه الأشعار دعاءٌ للرسول ﷺ وشِركٌ عظيم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِــهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ [2] ، فانظر كيف مَكَرَ الشيطانُ بهؤلاء وكيف جَعَلَهم يعبدون الرسول ﷺ ؟! .

* * * * * *

وأخيراً .. لا ننسَ التنبيه على مسألة الحلف بغير الله ، وهو كثير جــداً .. يقول أحدهم في حَلِفِــه : (والنبــي) (وحياتِك) (وشرَفي) ونحو ذلك من الإقسام بالمخلوق ، وهو شرك أصغر ؛ وهل تدري ما هو الشرك الأصغر ؟! ، إنه

---

(١) « ديوان البرعي » ، ص (١٩٠) .

(٢) سورة النساء ، آية : ٤٨.

أكبر من الكبائر مثل الزنا وشرب الخمر ، فهو أعظـــم من ذلك ؟! ، ولا يجوز الحلف بغير الله - عز وجل - .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبدالكريم بن صالح الحميد

بريدة - جمادى الآخرة ، ١٤٢٧هـ

الفهرس التفصيلي للمحتويات


بحمد الله